

نشأة الصحافة العربية.

المرحلة الاولى مسائي

بزغت شمس الصحافة العربية في ختام القرن الثامن عشر بمدينة القاهرة، وكان ذلك أثر الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بوناپرت عام 1798م، فقد رافقت هذه الحملة بعثة علمية قامت بأعمال جليلة كان منها إصدار ثلاثة صحف بواسطة المطبعة التي جلبتها معها، صحيفتان باللغة الفرنسية، والثالثة باللغة العربية وأسمها (الحوادث اليومية) كان محررها إسماعيل بن سعد الخشاب، بينما يسميها آخرون بـ(التنبيه). وتوقفت هذه الصحيفة بجلاء الفرنسيين عن مصر عام 1801م. ثم أعقبتها صحيفة "جورنال الخديوي" في 1827م، أنشأها محمد علي والي مصر، والتي ما لبثت أن تحولت في 20 تشرين الثاني عام 1828م إلى "الوقائع المصرية"، أما الثالثة الصحف العربية فهي صحيفة "المبشر" الجزائرية التي أصدرها المستعمرون الفرنسيون في مدينة الجزائر عام 1847م بأمر الملك لويس فيليب.

بعدها سرعان ما أخذ العرب يخوضون غمار ميدان الصحافة بأنفسهم، مضيفين عليها طابعهم الخاص، مستفيدين من خبرة من سبقهم في هذا الميدان، فصدرت بعد ذلك صحيفة "حديقة الأخبار" عام 1858م في بيروت لصاحبها خليل الخوري، وهذه تعد أول صحيفة عربية مستقلة يصدرها عربي في الأقطار العربية، إذا ما استثنينا الصحف العربية التي أصدرها العرب في استانبول، مثل صحيفة "مرآة الأحوال" عام 1855م، وصحيفة "الجوائب" لأحمد فارس الشدياق.

ثم توالى على الأثر الصحف العربية في الصدور في شتى الأقطار العربية، حتى بلغ عددها عام 1870 سبعاً وعشرين صحيفة ومجلة، وهو عدد معتبر في إطار الزمان والمكان، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار انتشار الأمية بين السكان في ذلك القرن وندرة عدد المعلمين في الأقطار العربية.

وكانت هذه الصحف في بداية عهدها متواضعة من حيث الإخراج الفني، وركيكة في لغتها وتعايرها، رديئة في طباعتها، الأمر الذي يعكس جهل المشرفين على إصدارها بأصول الصحافة وقواعدها. ولكن بدأت الصحافة العربية منذ عام 1870م بالتحسن إخراجاً وفكراً. وارتبط ذلك، بالتأكيد، بالاطلاع الأوسع على أسباب الحضارة الحديثة، وانتشار التعليم، وتطور الطباعة، وازدياد وزن الصحافة التدريجي سياسياً وفكرياً، فظهرت في الوطن العربي عشرات المطبوعات بين صحيفة ومجلة، توزعت بين بيروت والقاهرة ودمشق وتونس.

ولكن، مع ذلك بقت الصحافة العربية في معظمها تصور اتجاهات ذلك العصر من تمجيد العثمانيين، أو النطق بلسان بعض الطوائف أو التعبير عن رأي الولاة العثمانيين في سائر الأقطار العربية، أو الاشتغال بمناظرات سفسطائية جدلية حول قضايا دينية أو لغوية أو أدبية لاتهم مصالح الشعب لامن قريب ولا بعيد.

عاشت الصحافة العربية في ظل تشريعات وتنظيمات خاصة وضعتها السلطات العثمانية، كان أول نظام شرع في الدولة العثمانية لتنظيم شؤون الصحافة، صدر في عام 1863م حددت فيه شروط ترخيص إصدار الصحف داخل أراضي السلطنة، ثم أُرِدِف بقرار آخر في عام 1867م ، نظمت بمقتضاه لأول مرة مسألة الرقابة على الصحف.

وبفضل نشاط "العثمانيين الجدد" تمتعت الصحافة العثمانية في بداية نشأتها بقدر من حرية التعبير عن الرأي، ونشر الأخبار. ولقد ساعد بعد المركز وظهور النفوذ الغربي في بعض الولايات العربية الداخلة ضمن الإمبراطورية العثمانية على تعميق هذا الإتجاه. ولكن ما أن تسلم السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة حتى انعكست الأمور، فقد ضاق ذرعاً بالصحف، بعد أن أخذت تقض مضجعه وتهز عرشه، فأصدر أوامر مشددة تقضي بتقييد حريتها إلى أبعد الحدود، حتى إنه تحول شخصياً إلى رقيب على صحافة العاصمة استانبول ، وفي عهده وضعت تسعة مواد كتعليمات حددت الخطوط العامة التي تسير وفقها الصحافة ولا تخرج عنها.

وكان من الطبيعي أن تنتقل آثار السياسة الحميدية إلى قسم من الصحف العربية، لا إلى كلها. فبحكم عوامل موضوعية محددة ظلت الصحافة المصرية تمثل وجهاً ناصعاً في عالم الصحافة الشرقية يومذاك، والفضل في ذلك يعود إلى خديوات مصر الذين رعوها وشجعوا أربابها على تطويرها، كما أدت المنافسة العثمانية – البريطانية دوراً واضحاً في ذلك. وعاشت الصحافة في لبنان وضعاً مشابهاً للصحافة المصرية، وذلك بفضل وجود فئة مثقفة لها وزنها، ونتيجة لانتشار آثار الحضارة الغربية السريع إلى تلك البلاد بواسطة الفرنسيين.

بعد عام 1908 وإعلان عودة العمل بالدستور، نعمت الصحافة في سائر البلاد العثمانية بحرية نسبية في مدة من حياتها، وأخذت الصحف العربية تكتب في ميادين مختلفة من النقد والبحث ومعالجة الموضوعات، مستنظلة بظل الدستور. لكن الحكومة العثمانية سرعان ما عدلت القانون الأول بقانون المطبوعات الصادر في 16 تموز 1909 الذي ضغطت به على الصحافة، ولاسيما المعروفة منها بالميل الليبرالية بالذات، مما كان له وقع سيء في البلاد العثمانية، فقبول باستنكار شديد

في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) في الأستانة، وانبرى بعض النواب ينددون بالتشديد على الصحف وخنق حريتها بهذا التشريع .

ولكن مهما يكن من أمر فإن أساساً لا بأس به قد وضع للصحافة العربية في العهد العثماني، الأمر الذي يمكن ملاحظته من خلال إلقاء نظرة شاملة على نشأة الصحافة العراقية وتطورها في ذلك العهد.

وفيما يلي جدول بأسماء الصحف التي صدرت في الوطن العربي

ت	اسم الصحيفة	سنة الصدور	مكان الصدور	اسم مؤسسها
1	الوقائع المصرية	1828	القاهرة	الوالي محمد علي باشا
2	المبشر الجزائرية	1847	الجزائر	السلطات الفرنسية
3	حديقة الأخبار	1858	بيروت	خليل الخوري
4	النفير سوريا	1860	دمشق	بطرس البستاني
5	الرائد التونسية	1861	تونس	باي محمد صادق
6	طرابلس الغرب	1866	طرابلس الغرب	الوالي عبد العزيز
7	الزوراء	1869	بغداد	الوالي مدحت باشا
8	صنعاء	1870	صنعاء	الوالي العثماني
9	المغرب	1889	مراكش	عيسى فرج
10	الغازية السودانية	1889	الخرطوم	-
11	زنجبار	1892	زنجبار	برغش بن سعيد
12	النفير العثماني	1904	القدس	